نافذة

الفوضى اللاخلاقة

عناوين كثيرة طرحتها الأزمة التي تمرّ بها سورية منذ أكثر من خمس سنوات.. ونجد من المناسب التوقف عند بعضها.. ما الحرية؟ ثقافة الحوار، التغيير وسبل الخروج من عنق الزجاجة، الرأي والرأي الآخر؟ الديمقراطية والتنمية المستدامة، الشرق الأوسط الكبير، تراجع العقل وتقدّم الغرائز، انهيار القيم، الإصلاح ومحاربة الفساد.

لقد أفرزت الأزمة نتاجات لانتهازيين كثر يمتهنون السباحة في دماء أبناء شعبهم، وتعتمر أحاديثهم وتصريحاتهم الابتسامات الكاذبة التي تهدف إلى نشر الفوضى، وتعزيز انهيار القيم ونشر الكراهية بين الناس، وتورث التشققات والإشكالات السياسية والاجتماعية والثقافية الكبرى.

في أحاديثهم تتكرر لمناسبة، ومن غير مناسبة معزوفة الحرية والديمقراطية، التي تؤسس لتغيير أنظمة الحكم وفق الرؤية الأميركية التي تهيئ لإخضاع العرب لإسرائيل، وإعادة قولبة المنطقة وفق سياسة الهيمنة الأميركية... يحدثونك عن الصراع بين الخير والشر والأرض والهيمنة والسلطة والمصير، الذي تتحكم به قوى لا تحلل ولا تحرم وتتميز بغباء عاطفي، وتبلّد عاطفي، وانحطاط أخلاقي لا حدود له.. يتجه في جميع مساراته وأهدافه وغاياته نحو خدمة مصلحة وآفاق ورؤى دولة إسرائيل التي تبحث منذ قيامها عن طرق وأساليب وظروف لإعادة ترسيم المنطقة العربية، وتقسيمها إلى دويلات طائفية ومذهبية وقبلية وعرقية بما يتناسب مع طبيعتها وتكوينها الاستيطاني الإجرامي الإرهابي.. لقد وجدت ضالتها بعد تفكير طويل، ودراسات وأبحاث تاريخية، في تغذية الصراع الطائفي، وفي «الإسلاموفوبيا» وقد استطاعت بكل أسف وألم وحسرة، أن تنفذ من خلالها إلى داخل المجتمعات والأنظمة البالية، لتعبث بأمن واستقرار الأمة العربية، وتنشر فيها الخراب والدمار والإرهاب والانقسام، والجميع يعرف أن إسرائيل ما كانت لتنجح في مخططاتها وطموحاتها لولا الدور والدعم الأميركيّان الفعّالان والمنظّمان في هندسة وإدارة الصراعات والتناقضات، وتوجيهها بالاتجاه الذي يخدم سياسة الإمبريالية العالمية ومشاريعها الشرق الأوسطية، التي تهدف إلى السيطرة على مقدرات الشعوب وثرواتها وطموحاتها وآمالها وأحلامها.

لقد أثبتت سورية بعد أكثر من خمس سنوات أنها أرض البطولة والفداء والشهادة من دون منازع، ولا نظير لشعبها الصامد، على الرغم من الدمار والويلات والقتل والإرهاب.. لقد صمدت ورفضت بكل قوة وثبات فرض الإملاءات عليها.. لقد رفضت الخطاب المذهبي والقبلي والطائفي.. لقد رفضت الموت الوحشي، الذي حاولت المجموعات الإرهابية فرضه على أي مكان أو أي منطقة وصلت إليها أو سيطرت عليها.. لقد رفض الشعب العربي السوري بكل فئاته وأطيافه وقواه، تحويل سورية إلى «كانتونات» تتحكم فيها ميليشيات حاقدة قادمة من شتى أصقاع الأرض.

المشكلة أن أكثر دول العالم لم تتحرك، ولم تتعاطف مع كل ما حدث ويحدث بفضل «الربيع العربي» الذي دمر البلاد وشرّد العباد، وأحرق الأخضر واليابس، لقد اختلطت المفاهيم والقيم، وأصبح الأبيض أسود، بفضل الإعلام العالمي المغرض الذي ساهم في التعتيم على ما حدث، وارتكب أخطاء قاتلة، دفاعاً عن مؤامرة كبيرة قادتها الولايات المتحدة الأميركية منذ سنوات تحت عنوان «الفوضى الخلاقة»، التي قصد منها خلخلة البنية السياسية والاقتصادية والمجتمعية لبعض دول الشرق الأوسط، وفق معايير تعزز الضعف والإرهاب، وتقوم بهدم النظم بالقوة وفق أفكار «الفوضى الخلاقة» التي أطلقتها «كونداليزا رايس» في عام ٢٠٠٤، وتبنتها مجموعة الثماني الكبار، التي أعلنت مرات عدة عن أهدافها في فرض التغيير لبعض دول الشرق الأوسط، وكان لها ما تريد، حيث اختلط الحابل بالنابل، وكانت «الحروب اللاخلاقة» التي هدمت كل مقومات الحياة، وشجعت العواصف التي تحولت إلى حروب مفتوحة، وما زال العرب ينتظرون المزيد.

د. علي القيّم

«جوقة الفرح من دمشق إلى العالم»

د. بثينة شعبان: سورية عصية على الانكسار والهزيمة

الأب زحلاوي: أشكر الله أني خُلقت في سورية

الأب إلياس زحلاوي يتسلم درعاً تكريمية

د. بثينة شعبان

وائل العدس

أطلق الأب إلياس زحلاوي كتابه «جوقة الفرح من دمشق إلى العالم» في احتفالية على مسرح الأوبرا بدار الأسد للثقافة والفنون بدمشق، وهو كتاب يروي مسيرة تسعة وثلاثين عاماً من تأسيس الجوقة إهداءً منها لكل أسرة سورية، واعتباره عربوناً لإيمان أسر سورية الراسخ والمتحد بالإنسانية وأرض بلدنا ومصيرها.

ووزعت الجوقة على الحاضرين الكتاب الذي يروي فيه حكاية تأسيس هذه الجوقة سنة ١٩٧٧ بعدد ضئيل من الأطفال وانطلاقتها من إطار الكنيسة لتقيم حفلاتها على مختلف البقاع السورية وتنطلق منها لتجوب حاملة معها رسالة سورية في المحبة والسلام.

وتحدث خلال الاحتفالية كل من الدكتورة بثينة شعبان، وغسان الشامي، وأحمد الخطيب، وحبيب سليمان، إضافة إلى الأب زحلاوي، تخللتها وصلات غنائية للجوقة حسب الفئات العمرية من الطفولة مروراً باليفاعة والشباب والكهولة وبإشراف كل من كلوديا توما نخلة، وكارول نزر، ورجاء الأمير شلبي، وحبيب سليمان، حيث قدموا أغاني «الوردة الجورية» و«في صباح الألف الثالث» و«اشتقنا كتير يا حبايب» و«يابلادنا» و«أتهلل يوم تناديني».

وقدم خلال الحفل فيلمان قصيران تضمن الأول صوراً من ذاكرة جوقة الفرح وتدريباتها ومسيرتها الفنية والحفلات التي أحيتها في سورية ومختلف دول العالم والتي كان آخرها على مسرح تدمر الأثري، على حين احتوى الثاني على شهادات لمغتربين سوريين كانوا في طفولتهم أعضاء في الجوقة.

وقدم أعضاء الفرقة القدامى درعاً تكريمية للأب زحلاوي، قبل أن تختتم الجوقة الحفل بأغنية «مهما تتجرح بلدنا» ثم النشيد العربي السوري.

منبع المحبة والسلام

أكدت د. بثينة شعبان المستشارة السياسية والإعلامية لرئاسة الجمهورية في تصريح لـ«الوطن» أن الاحتفالية تشكل رسالة مهمة من الأب زحلاوي إلى العالم برمته وأن سورية عصية على الانكسار والهزيمة، وأنهم مهما حاولوا النيل من سورية فإنها ستبقى مهد الحضارة ومنبعاً لنشر المحبة والسلام وما قام به الأب زحلاوي بتأسيس هذه الجوقة تعجز المؤسسات عن القيام به.

وأشارت إلى أن العالم لا يفهم سر استمرار سورية وأن دمشق أقدم عاصمة مأهولة بالتاريخ، لماذا؟ لأن أهل سورية يأبون الهزيمة طوال حياتهم.

وشددت شعبان على أن ما شهدناه اليوم يعد أنموذجاً للعيش المشترك الذي لن يتمكن أحد من كسره، وبلدنا منتصر بإذن الله وسيغير المنطقة والعالم إلى المنطق السوري.

وفي كلمة ألقتها أمام الحشد الكبير قالت: إن سورية التي تنجب أبناء أمثال الأب زحلاوي عصية على الانكسار، لأن سورية وعلى الرغم من الاستهداف المركز لحضارتها وقيمها وشعبها تنتج الفرح وتحمله رسالة إلى كل أنحاء العالم.

وأضافت: إن الأب زحلاوي قامة سورية استثنائية تؤمن بقانون المحبة والعطاء وزرع البسمة على شفاه الإنسان أياً كان، حيث أولى اهتماماً خاصاً بالطفولة عكس إيمانه وروحه على هذه الجوقة فكانت مدرسة لاكتشاف مواهب الأطفال وطاقاتهم الهائلة كعناصر قادرة وفاعلة في مجتمعها.

وأكدت أن الأب زحلاوي لامس موضوع الطفولة بأسلوب مدروس يشكل فيه فريق العمل أساس مشروعه، والعلاقات التي نسجت بين الأطفال أصبحت قاعدة صلبة لأدائهم وفرحهم ولإبداعهم حيث الإيمان والإرادة كانا الحصن المنيع الذي يمنع هذه القلعة من الاهتزاز.

واختتمت كلمتها بالقول: إن سورية تحتاج إلى أمثال الأب زحلاوي في وطن يناشدنا أن نزرع الفرح والمحبة على كل ذرة من ترابه رداً سورياً على آلات القتل والفتك.

قيامة باهرة

بدوره قال الأب زحلاوي: أشكر الله أني خلقت في سورية، وأنه ألهمني بأن أهتم بالطفولة والشبيبة، وكنت ألمس يوماً بعد يوم في أعماق أطفالنا وشبابنا طاقات هائلة حيث إن كل ما قدمته لهؤلاء الأطفال هو الثقة، والثقة تنبع من الحب، والحب ينبع من الإيمان، وكنت مؤمناً أن في أعماقهم كنوزاً تنتظر من يوقظها ويطلقها حتى وصلت جوقة الفرح لما ترونه الآن.

وتحدث عن العيش المشترك المستمر، ملمحاً أننا مؤمنون ومحبون نعيش جنباً إلى جنب مسيحيين ومسلمين لنقدم للعالم نموذجاً.

وأشار إلى أن الجوقة في كل جولاتها خارج سورية كانت تسترعي انتباه الجمهور بأغانيها وترانيمها، مؤكداً أن الفرنسيين تساءلوا خلال جولة جوقة الفرح الأخيرة عن الكيفية التي تمكن عبرها هؤلاء الأطفال من تجاوز آثار الحرب على بلادهم والغناء بمحبة، فأجابهم «بأنكم ترسلون القتلة إلى بلادنا لكننا سنبقى مؤمنين متحابين وسنغني دوماً رسالتنا في الحب والإيمان».

وعن كتابه قال: صدر الكتاب في دمشق في قلب هذه الجحيم المجنونة التي شاؤوها لسورية أم الحضارات جميعاً، وثقتي تامة أن من سيراه سيعود إليه اليقين أن الإنسان في سورية قادر دائماً على صنع المستحيل.

«جوقة الفرح من دمشق إلى العالم»

وتابع: دون ادّعاء وغرور، أقدم الكتاب دليلاً على يقيني المطلق بعودة سورية قريباً، بعد صلبها بيد الغرباء وبعض أبنائها وأشقائها، إلى قيامة باهرة، تماماً كما حدث لأعظم أبنائها، يسوع المسيح.

وأوضح أن الكتاب صدر باللغة العربية إلا أننا ننوي ترجمته إلى اللغات الإنكليزية والفرنسية والروسية والإسبانية.

عائلة كبيرة

ولفت حبيب سليمان أحد أعضاء جوقة الفرح القدامى إلى أن الجوقة تحولت بعد سنوات قليلة من تأسيسها إلى تجمع موسيقي ضم أطفالاً ويافعين تلقوا عبرها دروساً في الرياضة والغناء والموسيقا وباتت كعائلة كبيرة تشد أواصر أسر المنتسبين إليها.

على حين تحدث أحمد الخطيب من أصدقاء الجوقة بأن الجهود التي بذلها الأب زحلاوي أثمرت عن ظهور وطن صغير يختصر سورية ويحمل اسم جوقة الفرح التي لم تقتصر في نشاطها على الترتيل الديني بل تعدته إلى الغناء بمختلف القوالب الموسيقية وبصورة طوعية دون أي مقابل.

أما الإعلامي اللبناني غسان الشامي فاعتبر أن عراقة دمشق عبر التاريخ انعكست جلية في جوقة الفرح والتي أثبتت مجدداً أن هذه المدينة تحمل في أزقتها وأوابدها معنى المحبة والتسامح والاستمرارية ورفض الظلم.

الروح السورية

من جانبها رأت النجمة سلاف فواخرجي في تصريح لـ«الوطن» أن أطفال جوقة الفرح سفراء سورية ليقولوا للعالم إننا مازلنا أحياء ومستمرين على الرغم من أن هناك حزناً كبيراً ولكننا في نفس اللحظة ننهض من تحت الرماد ومن الحزن والألم لنقول للعالم: إنه لا قوة في العالم تستطيع أن تقتل بسمة وفرح وأحلام أطفالنا، والروح السورية التي تعيش بداخلنا.

وقالت: أشكر الله دوماً أني سورية، واليوم زاد هذا الشعور أكثر فأكثر، إذ إنني محظوظة لأنني أنتمي لنفس البلد الذي ينتمي إليه هؤلاء العمالقة أمثال الأب إلياس وجميع السوريين الشرفاء.

سفراء سورية

أما المخرج السينمائي المهند كلثوم فأكد أن الموسيقا أقوى من أصوات الرصاص، والفن عامة في سورية منذ بداية الأزمة، ما يعني أننا شعب متمسك بالحياة، وعندنا عقيدة وإيمان أن الفن أقوى من الإرهاب، أما أطفال جوقة الفرح فهم سفراء سورية شأنهم شأن كل السفراء السوريين في العالم.

في رحيل ياسين رفاعية

علي سليمان - الكويت

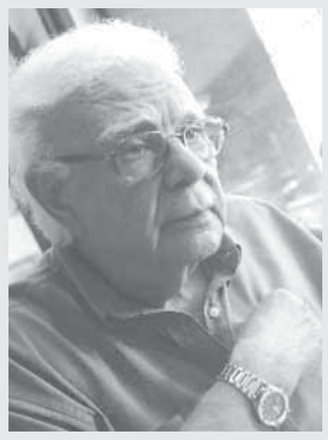

رحل ياسين رفاعية
طوى كتاب العشق ودفاتر الذكريات
ترك قلمه وحيداً
رحل حاملاً قلبه المفعم بالشغف وأحرفه المشتعلة بالأشواق
رحل عاشق دمشق المسكون بالخوف الدائم من معشوقته وبالخوف الدائم عليها...!
لا أدري كيف
أعاتب الموت الذي لا يميز بين
من يغرس أشجار الشعر
ومن يحتطب أغصان الحياة
بين قلوب الشعراء وقلوب الطغاة
بين النفوس العامرة بضوء المحبة
والنفوس الغارقة في ظلمة الكراهية
بين رسل المحبة وفقهاء البغضاء...!
رحل ياسين رفاعية.
بعد مغالبة طويلة مع الموت
تاركاً أشواقه وأصداءه وظلاله وحيدةً تهيم في شوارع بيروت
وفي مقاهيها وفي حارات دمشق القديمة
وعلى أرصفة ساروجا وأزقتها وأوجه منازلها
رحل دون أن يروي ظمأه الدائم للحياة، دون أن يكمل روايته الأخيرة
دون أن يخبر محبيه بموعد سفره الأبدي
أما نحن، أيها الصديق الراحل، المفجوعين باحتراق الوطن
وبمشاهد الجنون ومهرجانات الجرائم اليومية
لم يبقَ لنا في الرحيل اليومي لمئات الشهداء والأحبة
بقيةٌ من كلمات الرثاء... بل لم يبق لكلمات الرثاء من معنى..!
أيها الراحل العزيز
لست أدري هل أنعاك، أم أغبطك على رحيلك عن مسرح العبث هذا؟!

جدل ثنائي... ملامح الأنثى تعددت وتشابهت

إسماعيل نصرة لـ«الوطن»: هويّتي التشكيليّة استقرت في ملامح وجه الأنثى الخاصّ بي

عامر فؤاد عامر

تستقبلك وجوه الأنثى منذ النظرة الأولى إلى لوحاته، مزدانة بالألوان الجاذبة واللافتة، وإن كانت تقشفاً في قسم منها فهي تدور في فلك الأنثى المسيطرة في حضورها، والعاشقة، والحالمة، وآسرة اللوحة، والمحور الذي تجتمع فيه كلّ مزايا وأفكار اللوحة التشكيليّة التي تخصّه، الفنان التشكيلي «إسماعيل نصرة» وفي معرضه «جدل ثنائي» المشترك مع النحّات «وائل دهّان»- سيكون لنا وقفة معه قريباً- والمُقام في غاليري «ألف نون» في دمشق، نتحدّث إليه حول جديده في هذا المعرض وحول علاقة لوحته بالحرف والرقم وعن الأنثى بملامحها الخاصّة التي تجمع لوحاته.

يعتمد المعرض على بورتريه مشترك، فكان وجهاً بملامح متقاربة، في كلّ اللوحات تقريباً، وعن هذه الملاحظة جاءت بداية حديثنا مع الفنان التشكيلي إسماعيل نصرة» فشرح لنا موضّحاً: «كلّ فنان يمتلك في مخيّلته صورة تخصّه، وكأنّه يقوم برسم شيء يخصّه أو يرسم نفسه بالأحرى، فهذا الوجّه الذي يظهر يسيطر في حضوره عبر اللوحات منذ بداية التجربة، وهذا ما لمسته في تجربتي أيضاً؛ بل ينطبق على تجربة أهم الفنانين التشكيليين العالميين، لدرجة أن هناك فنانين يمكن معرفة لوحاتهم فوراً من خلال البورتريه أو الوجه الذي يرسموه في لوحاتهم والملامح الخاصّة والثابتة دائماً في هذا الوجه، وهو أمر خارج عن الإرادة، فتظهر الملامح من دون قصد، وعلى الرغم من تشابه الملامح في كلّ وجوه المرأة التي رسمتها في اللوحات إلا أن الملمح يختلف بين صورة وأخرى وبين لوحة وأخرى فأستطيع تمييز حالتها وموضوعها في كلّ مرة أرسمها وأجسدها في لوحة».

التقشّف والحلم والأمل

اختلفت خلال سنوات الحرب ملامح الأنثى، والوجه، وألوانه في لوحة الفنان التشكيلي «إبراهيم نصرة» وعن ذلك يصف: «المرأة موضوع ثريّ جداً في الفنّ التشكيلي وهو يمنح اللوحة قيمةً فكريّةً ومعنويّةً وروحانيّة، ومزيد من الرموز والدّلالات، والاختلاف الحاصل عبر هذه السنوات تجلّى في الخط واللون والشكل والتعبير، فلدي لوحات في هذا المعرض مثال على ذلك لوحة «سورية الآن» المؤلّفة من لوحتين على الخشب تُجسدان وجهاً متكرراً يحمل حالة من الألم المتجدد، وفي الوجه وضعت عدداً من المسامير الحديديّة المنغرسة في الجبهة والمتناثرة في باقي أجزاء اللوحة، ولم أزد في اللون بل كان هناك نوع من التقشّف وكلّ ذلك دلالة على الحزن وعلى الألم المتكرر، وفي لوحات أخرى بقي الحلم والأمل موجودين فالوجه نفسه الذي يتألم ويتعذب يمكنه أن يحلم ويستجر الأمل وصولاً للهدف والراحة والسعادة».

من أعماله الحديثة

واقعيّة مبسّطة

جُمعت لوحات هذا المعرض بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٦، لكن لكلّ معرض ما يميّزه عن غيره، وعن الجديد في هذا المعرض وما يحمله من اختلاف عن باقي المعارض التي أقامها التشكيلي «نصرة» يقول: «يحمل المعرض تجربة جديدة، ونضجاً في التقنيّة وفي المعالجة، فالشكل المقصود في اللوحة بدأ يبرز ويظهر في تكاليف أقلّ وعبر أدوات ناضجة بسبب التجربة وتراكم الخبرة، فتغدو الصيغة في اللوحة أكثر نضجاً والأشكال تحمل نوعاً من الاختزال ولم يعدّ يعتمد على التفاصيل المتزايدة، بل هناك واقعيّة مبسّطة، وهناك تقشف في اللون وغنى في المشهد العام ومع مساحات من التنفس والتعبير».

الرقم والحرف ونزار

يستخلص المتلقي مجموعة من الرموز والأشكال والإشارات في لوحات معرض «جدل ثنائي» فهناك أرقام وأحرف عربيّة وأجنبية وخطوط عريضة وأخرى رفيعة وكثير من التعابير والرموز التي تخدم الخط العام الذي يجمع كلّ تلك اللوحات، وحول هذه الأفكار يضيف لنا: «الرقم والحرف مصدران لتشكيل اللوحة لديّ، وفي معارض سابقة كان لي أكثر من تجربة فيها، وأذكر منها العلاقة بين لوحتي وقصيدة الشاعر الكبير «نزار قباني» فكنت أضع النص في اللوحة بصيغة المفردات التشكيليّة لوناً وحرفاً مع ترجمة مباشرة في القصيدة، لتتجلى أنثى «نزار» عبر اللوحة، أمّا الرقم فمدلوله آخر فهو يعبّر عن أحوالنا البشريّة وكأننا مجرد أرقام في هذه الحياة...».

روح شرقيّة

يترك في لوحاته بصمة في ذاكرة المتلقي ومع مرور الوقت باتت الهويّة واضحة لدى الفنان التشكيلي «إسماعيل نصرة» وهي وجه الأنثى بملامحه الخاصّة والقريبة من نفسيّة المتلقي والذي يترك أثراً مريحاً في داخل من يتابع تطور اللوحة لديه عبر ممارساته وتجاربه، وفي نهاية لقائنا نستذكر معه هذه الكلمات: «دائماً لدي الجديد، وأحبّ التجربة، فمعرضي اليوم حمل الرقم ١٣ وهناك مزيد من الأفكار لطرحها في معارض متجددة وتجارب قادمة، وأنا أحبّ رسم الإنسان في لوحتي، إضافة إلى رموز أخرى تشترك معه، لكن الأهمّ هو الروح الشرقيّة في اللوحة، وهذه هي هويّتي وأيقونتي، وفي وقتنا الراهن من الصعب أن يتفرّد الفنّان بشيء يخصّه، ولاسيما في زحمة الأساليب وتكاثرها في الفنّ التشكيلي اليوم».